

التبيان في تفسير القرآن

(136) الكافرين إلا في ضلال " (1) وهذا انما هو في الجملة، قال الرمانى: وصرف ا □ تعالى له عن الفعل بالزجر عنه واعلامه الذم على فعله، وفرق بين الصرف عن الفعل والزجر عنه، بأن الزجر عنه بالذم على ايقاعه. والصرف عنه اعلامه ان غيره أصلح له من غير ذم عليه لو عمله كما يجب في الزجر، والظاهر بغير ذلك أشبه، لان يوسف (ع) كان عالما بأن ما دعت اليه قبيح يستحق به الذم، ومع ذلك سأل ان يصرف ضرر كيدته عنه، لان كيدته الذي هو دعاؤه وأغواؤه، كان قد حصل، فكأنه قد سأل ا □ تعالى لطفاً من أطفاه يصرفه عنده عن اجابة النسوة إلى مادعونه من ارتكاب المعصية، لان ظاهر القول خرج مخرج الشرط والجزاء المقتضيين للاستقبال، فكان ما قلناه أولى. فقله " انه هو السميع العليم " معناه ههنا انه السميع لدعاء الداعي العليم باخلاصه في دعائه او ترك اخلاصه وبما يصلحه من الاجابة او يفسده، قال الرمانى: ولا يجوز ان يكون السميع للصوت بمعنى العليم بالصوت موجودا، لانه قد يعلم الانسان موجودا، اذا كان بعيدا وهو لا يسمعه كعلمه بصوت المطارق في الحدادين، وليس من طريق الحاسة وانما يعلمه بضرب من الاستدلال او يظن ذلك، واذا علمه من طريق الحاسة علمه ضرورة، فكان ذلك فرقا بين الموضعين. وقال ابو علي الجبائي: في الآية دلالة على جواز الدعاء بما يعلم انه يكون، لان يوسف عالما بأنه إن كان له لطف فلا بد ان يفعل ا □ به، ومع هذا سألته وليس في الآية ما يدل على ذلك لانه لا يمتنع ان يكون يوسف سأل لتجويزه ان يكون له لطف عند الدعاء، ولولم يدع له لم يكن ذلك لطفاً، فما سأل الا ما جوز ان لا يكون لولم يدع، غير ان المذهب: ما قال ابو علي لانه تعالى تعبدنا بأن نقول " رب احكم بالحق (2) وقد علمنا انه لا يحكم الا بالحق، ولكن الآية لاتدل على ذلك. _____ (1) سورة الرعد آية 15 وسورة المؤمن (غافر) آية 50. (2) سورة الانبياء آية 112.